الموضعية والصراعات الثنائية كالفطر في المنطقة، تلفح الجميع بنارها، مبتعدة بالفعل والقدرات والاهتمام من المركز الطبيعي للصراع الحقيقي، أي فلسطين، لتهدر في الاطراف. ولم يسلم قطر واحد في المنطقة من هذه التفجيرات والصراعات التي صعّدت الادعاء... باحتكار الصواب لدى كل طرف من أطراف هذه الصراعات، والتي عزّزت استثارة العصبيات القبلية والعشائرية والطائفية الجاهلية بأردية قومية ووطنية وحضارية مزعومة. وزادت حدّة التقوقع الاقليمي الذي أثار انشطارات تجاوزت، نحو الداخل، الحدود السياسية التي رسمها الأجنبي بين أجزاء منطقتنا لتنفجر على مستوى التقسيمات الادارية ضمن كل دولة على حدة، بل وحتى داخل المدينة الواحدة، والطائفة الواحدة، والتنظيم السياسي الواحد [دونما سبب جوهري معقول]... وانعكست آثار هذه الهزّات العميقة على الحياة العامة، فتقلّبت الاهداف، والسياسات، الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، مثلما تقلّبت الاهداف الوطنية، وتبدّلت تحالفات وخصومات تبدلات عبثية في كثير من الاحيان، وانهارت قيم كثيرة لمصلحة علاقات وأنماط سلوك وممارسات تدميرية على عدة مستويات، وتراجع مستوى التعليم واضطربت فلسفته، وتضاربت القيم التربوية، وتدنّي مستوى الانتاج برغم ظواهر اتساعه أفقياً وعمودياً، وتضاعف الاعتماد على الاجنبي الى حدّ الارتهان السافر أو المستتر، وسادت القيم الاستهلاكية المظهرية، واستشرى التشويه الثقافي الذي أحدثته الغزوة الثقافية الاميركية، بقيمها الفردية والانتهازية والعنفوية المتباهية بابادة الجنس التي موروست ضد الهنود الحمر، والممجّدة لسحق الغير من اجل الأنا...»[٢].

وهكذا توقّع كثيرون ان يتقدّم التيار الاسلامي في المنطقة ليملأ ما نجم عن تراجع وعجز الاطار القومي من فراغ، ولكي يتحمّل مسؤوليته، خاصة وان التيار الماركسي لم يكن مهيّأ، ولا مؤهلاً أصلاً، لاستيعاب الحركة السياسية العريضة والحركة المجتمعية عموماً، وزاد من بؤس فرصته توالي النذر بأفول النظم الماركسية في العالم، بدءاً بالتدخل العسكري السوفياتي في المجر، ثمّ في تشيكوسلوفاكيا، مروراً بالصراع السوفياتي ـ الصيني، وصولاً الى عدة مؤشرات الى انهيار ما أسميناه، في حينه، احجار الدومينو الماركسي في أوروبا الشرقية قبل حلول التسعينات. ان هذا التغيّر، الذي يتمّ في المنطقة بأسرها، يسير بوتائر متباينة، وتفاصيله محكومة بقواعد تختلف من حالة الى أخرى. لكن ما يجمع حالات فلسطين وجوارها هو الدور الهامّ الذي لعبه الصراع العربي ـ الاسرائيلي في دفع ذلك التغيّر الى أمام. وهنا نلاحظ ان نمو الحركات الاسلامية في فلسطين يتمّ في سياق تاريخي مميّز تبلور فيه أثر هذا الصراع أكثر من سواه، وفي اطاره المجتمعي الفريد الذي تحكمه خصائص وطنية تتميّز بتراث عريق من التسامح الاسلامي ـ المسيحي والتعامل المتحضر في مسائل الحياة الوطنية، والمجتمعية، المشتركة. وهو، بهذا، يختلف عن حالة مصر مثلاً، حيث تختلف القضايا الحياتية المطروحة بما أتاح للرئيس السابق، أنور السادات، ان يلعب، لفترة من الزمن، ورقة الحركة الاسلامية، ويستخدمها في صراعات داخلية بين أطرافها حيناً، وبينها جميعاً وبين تيارات قبطية استثيرت لديها نعرات ومطامح انعزالية، بحيث سارت تلك الصراعات، في أحيان عدة، أياً كانت نوايا أطرافها المباشرة، بما يخدم ارادات خارجية تضع مصلحة اسرائيل في رأس اهتماماتها؛ كما يختلف عن نشوء ونمو الحركات الاسلامية في لبنان التي جاءت، أساساً، رداً على عسكرة وطغيان هيمنة الطائفة المارونية التي أُغرقت في التغريب والالتحاق بمركز حضاري اوروبي منسلخة عن بيئتها ومنطقتها، ممّا سهّل انحياز كثير من رموزها الى معسكر اسرائيل ضد بقية شعبها ومنطقتها، وحيث كان الصراع المدمّر المستمر، منذ خمسة عشر عاماً، حصيلة طبيعية لأوضاع غير طبيعية وحالة مَرضية متعمّدة زرعت بذورها في